

قصة الفارس اللامع "صلاح بادبادو" المنشق عن الحكومة الصومالية



صلاح نوح إسماعيل النائب الصومالي السابق والشهيد (إن شاء الله)

المقالـة التاليـة ترجمـة لمقالـة نشـرها أبـو مـريم بالإنجليزيـة يتنــاول فيهــا ســيرة أحــد المنشقين عن الحكومة الصومالية المدعومة من الغرب.

﴿إِنَّ اللَّــهَ اشْــتَرَىٰ مِــنَ الْمُــؤُمِنِينَ أَنفُسَــهُمْ وَأَمْــوَالَهُم بِــأَنَّ لَهُــمُ الْجَنَّــةَ ۚ يُقَــاتِلُونَ فِــي سَييلِ اللَّــهِ فَيَقْتُلُــونَ وَيُقْتَلُــونَ أَ وَعْــدًا عَلَيْــهِ حَقًّـا فِــي التَّــوْرَاةِ وَالْإِنجِيــلِ وَالْقُــرْآنِ أَ وَمـَــنْ سَييلِ اللَّــهِ فَيَقْتُلُــونَ وَيُقْتَلُــونَ أَ وَعْــدًا عَلَيْــهِ حَقًّـا فِــي التَّــوْرَاةِ وَالْإِنجِيــلِ وَالْقُــرْآنِ أَ وَمـَــنْ أَوْفَـــى يَعِهُمُ اللَّـــةِي بَـــايَعْتُم بـــــهِ أَ وَذَلِــكَ هُـــوَ الْفَـــوْزُ أَوْفَـــى لِهِ لَيْعَالُهُ (التوبة: 111)

منذ منتصف التسعينيات، كانت الصومال على مفترق، تعيش حالة من عدم اليقين، وكان الناس ينتقلون تدريجياً من ثقافات الجاهلية إلى مبادئ الإسلام المنسية منذ زمن طويل. ولكن لمواجهة الصحوة الإسلامية، أقامت الدول الغربية والدول المجاورة لعبة الحكومة الفيدرالية الانتقالية، مع معظم البرلمانيين غير المتعلمين لتأمين مصالحهم، ودستور يعارض تمامًا القيم الإسلامية. وبالتالي، كان يُنظر إلى الحكومة الاتحادية الانتقالية على أنها حكومة أجنبية مما جعلها لا تحظى بشعبية بين الشعب الصومالي.

كان أحد هـ وُلاء النـ واب صـلاح نـ وح إسـماعيل (المعـروف أيضًا باسـم صـلاح بادبـادو)، وهـ و شخصــية مألوفــة في السياســة الصــومالية خــدم الحكومــة الاتحاديــة الانتقاليــة بإخلاص كعضـو في البرلمـان. ولـد صـلاح عـام 1960 في إقلـيم "سـناج" وهـ و ينتمـي إلـى قبيلــة "هــابر جيكلــو"، وهــي قبيلــة تســكن المقاطعــات الشــمالية الصــومالية المتاخمــة لإثيوبيا. كـان عظـيم الهمــة، ينــبض بالصــلاح ويــزدان بإمكانيــات عســكرية وتفــانٍ ومثــابرة وصفات رائعة أخرى.

بصفته نائبًا، كان منزعجًا من الخسائر المدنية خالال الغزو الإثيوبي، والقصف العشوائي لبعثة الاتحادية العشوائي لبعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال، وصمت الحكومة الاتحادية الانتقالية المخزي عن كل تلك الهمجية. كان غير راضٍ تمامًا عن الممارسات الإدارية الفاسدة التي تتبعها الحكومة الاتحادية الانتقالية مما أجبره على إعادة النظر في رأيه. لقد أصبح من المستحيل على صلاح التفكير بخلاف ترك السياسة ثم تلى ذلك فترة من البحث عن النفس. وفي 10 فبراير 2010، انشق بشكل مفاجئ عن

الحكومـة الاتحاديـة الانتقاليـة وانتقـل إلـى المنـاطق التـي يسـيطر عليهـا المجاهـدون. لقـد كـان يتحـدث بحمـاس في مـؤتمر صـحفي. بلحيـة طويلـة يتخللهـا الشـيب، وعيـون كبيـرة متوهجـة، وقمـيص أبـيض وكوفيـة مطابقـة، قـال صـلاح عـن الماضـي المؤسـف: "... اليــوم أتــوب إليــه تعـالى مـن الكفـر وأســأل اللــه أن يقبــل تــوبتي، وأمـا الحكومــة الصـومالية فـأرى أنهــم مرتــدين رفضـوا ديـن اللــه تعـالى". لقــد كـان مرتاحـًا، كـان سـعيدًا للغايــة لكونــه في الجانــب الأيمــن مـن الخلــيج، ولكونــه أصــبح جــزءًا مــن مجتمـع أكبــر يسمى "المجاهدين".

لقد أراد صـلاح السـير في رحلـة استكشـافية مغـامرة مـن خـلال محاكـاة أسـلافه الأتقيـاء، لكنــه أدرك أن المعرفـة شــرط أساســي لمثــل هــذه الطريــق. بعــد عمليــة التــدقيق المعتــادة، ســُــمح لــه بحضــور تـــدريب عســـكري (في معســكر) لـــدى حركــة شـــباب المجاهــدين، في برنــامج تــدريبي صــارم، ومــن المؤكــد أن امــتلاك ســمات مرغوبــة مثــل الصـبر والســمع والطاعــة والنيــة الحســنة ســيكون مفيــدًا بالتأكيــد في مثــل هــذا المقــام. وإليكم يوميات صلاح حول بعضٍ من تجربته في التدريب.

يقول صلاح، لقـد قـادتني حملتـي إلـى معسـكر تـدريبي حيـث كانـت مسـودة التسـجيل لم تكتمل بعد. وكنت أعـرف بوضـوح مـا الـذي كنـت أشـترك فيــه. لـم أكـن أبـدًا أكثـر فخـرًا وعزمًــا وثقــة ممــا كنــت عليــه يــوم التســجيل، أكثــر مــن أي تعــاملات ســبق لــي أن انخرطت فيهـا. كنـت أدخـل مجالًـا جديــدًا مـن الحيـاة أثـار تســاؤلات أخلاقيــة عــن حيـاتي الماضية وقيمتهـا الأخلاقيــة. على الـرغم مـن أننــي كنــت داخـل دائــرة نصـف قطرهـا مـن الرايــة الســوداء، إلا أننــي كنــت منغمسـًـا في الثقافــة الأجنبيــة بالإضــافة إلــى مواقفهــا الفكرية والمفاهيم الأساسية لحضارتها.

يجب أن أعترف أن التدريب كان قاسياً؛ سمح لنا بالاحتفاظ بحد أدنى من ساعات الطعام والماء والنوم، وكان هناك جدول زمني صارم والذي ربما كان يهدف إلى إثارة القــوة الخاملــة غيــر المســتخدمة للرجــال. لا شـــيء يصــوغ روح الرجــل، أو يصــقل الجوانــب الخشنة لشخصيته بشكل كامل أو يشده كما يفعل المعسكر بصرامة.

حجــم الجشــع يجعــل الرجــل يحســب أيــام التخــرج بدقــة متناهيــة. لقــد وجــدت فيــه الــدافع الســخي لتجريــد الإنســان مــن الأحــلام الخياليــة التــي تخدعــه بعــدم الالتــزام التــام بأوامر خالقه، مما يثيــر الأفكــار الفطريــة التــي لا تقــود إلــى أي مكــان إلا هــو ســبحانه. لقــد كانـــت تجربـــة صــعبــة للغايـــة، اســـتوعبت كثيــرًا مــن أفكــار الجهــاد وإغـــراءات غاياتـــه العظيمــة، ممــا جعــل الإخــوة حــازمين، إلــى جانــب ذلــك، كانــت الفكــرة هــي الاســـتعداد لشـــيء ســيأتي قريبــًـا. لــيس مــن الســهل تصــوير طبيعـــة المعســكر الواقعيـــة بجمــل واضحة ولكن فقط بغموض غير دقيق يعطي القارئ صورة غير واضحة.

وبالطبع، فإن وجود عدد كبير من الرجال في المعسكر لا يمكن أن يخلو من الخروقات والفكاهة والمشاجرات. كان هناك من استغل بذكاء ثغرات النظام، في بعض الأحيان، أثمرت ثقتهم الجريئة، وفي بعض الأحيان، أدت إلى إجراءات تأديبية. في هذا المكان، يتم تجنب المتاعب بأي ثمن.

كانت الأنشطة التـي تجـري في يـوم مـن الأيـام داخـل محـيط المعسـكر أقـل مـن كونهـا مجمعًـا صـناعيًا في وضـع الإنتــاج حـين نتحــدث عــن الالتــزام. مثــل خــط التجميــع، كــان النــاس يتعرضــون للضــغط مــع مــرور الوقــت؛ بالكــاد في أي وقــت يحــدث المــرء نفســه بــالخمول إلا ويمــش على مهــل مــع الشــعور بالإلحــاح. وإمــا أنهــم يجتمعــون لمناقشــة الأحــداث القادمـــة، أو في مســيرة، أو في فصــول دراســية يـدرســون المعرفــة الأساســية التي تمليها الضرورة، أو الطبخ لالتقاء حاجة بيولوجية فيهم، أو في ميـدان الرماية.

لـم يـتم عمـل أي شـيء مـن أجـل القيـام بـذلك، بـل تـم تصـميم كـل شـيء بدقـة وذكـاء لتحقيـق غـرض معـين. لقـد كانـت جوانـب مختلفـة مـن الـنفس تكمـل بعضـها الـبعض مثل قطع أحجية الصور المقطوعة التي تنتج صورة جميلة عند الانتهاء. لقد تم حذف الكثير من تفاصيل اليوميات لأسباب تتعلق بالسرية.

كــان يـــوم التخــرج مليئًــا بــالعواطف حيــث ضــم فرحــة الإنجــاز والحــزن عـلى التــأخر عـــن مهمة إلهية، وسعدنا بأن نكون أعضاء رسميين في حركة الشباب المجاهدين.

وحضر الحفل شخصيات مرموقــة مثــل الشــيخ "س" الــذي ألقــى خطابًـا مثيــرًا، وكانــت الدموع تنهمــر على الخــدين كلمـا أدركــت القلــوب الحــق. وإن لــم يكــن الرســول صــلى اللــه عليـــه وســلم حاضــراً بيننــا إلا أن رســالته كانــت هنــاك نقيــة مثــل ميــاه الينــابيع العذبـــة. شــعرت بــالعودة إلــى الماضــي القـــديم للإســـلام. شــعرنا بتجـــدد شــبابنا بطاقــة فريـــدة، طاقــة لا غنــى عنهــا لحمايــة ونشــر "الشــريعة العمليــة" في عــالم مــن الشــرك والوثنيــة. وكــوني جــزءًا مــن رحلــة بهـــذه الأهميــة حيــث تــتم التضــحية بــالروح مــن أجــل الإســلام، فقد أثارنى أكثر من الكلمات. فأنا بلا شك أرى سيف الإسلام خارج حدوده الحالية.

بعــد التــدريب العســكري، التحــق صــلاح بمعهــد أكاديميــة عبــد اللــه عــزام للدراســات الإسلامية حيث تعلم العديــد مـن المــواد بمـا في ذلـك فقــه الجهــاد. لقــد أدرك منــذ ذلـك الحــين نبــل إقامــة شــريعة اللــه ســبحانه وتعــالى على الأرض وكيــف أن القــائمين بمثــل هـــذا الواجــب الكــريم يقفــون على ثغــر عظــيم. في حديثـــه في تجمــع حاشــد في كيســمايو، قــال: "... لقــد أدركــت الآن بعــد وصــولي إلــى الولايــة الإســلامية أن حكومــة اللــه قائمــة بالفعــل وأن هــذه الحكومــات الأخــرى غيــر شــرعية ولا مكــان لهــا!" مــع العلــم أن لا قيمة للمعرفة إذا كانت تفتقر إلى التقوى والإخلاص كقاعدة.

لقــد كــرس كــل جهــوده للجبهــات، ولإدارات مختلفــة في حركــة الشــباب المجاهــدين، بمــا في ذلــك كتيبـــة الاستشــهاديين، وصــناعـة وعـــي المســلمين بشــأن خطــر الديمقراطيـــة، وما كان مجرد رسالة تحذيرية أصبح مسعى شخصي.

خــلال الأيــام التـــي أمضــيتها في الجهــاد، التقيــت بالعديــد مــن الإخــوة الفاضــلين أمثــال جــراح، الزبيــر، أبــو، أحمــد، وكثيــرين غيــرهم، لكننــي أتــذكر بشــكل خــاص شخصـية طويلــة

كريمـة تـدعى صـلاح. كـان يكـافح مـن أجـل التوفيـق بـين الرغبـة والحيـرة. الرغبـة التـي تشــتهي "البريــق واللمعــان" والــنفس التــي تحتــاج إلــى الخــلاص. على الــرغم مــن أن الطــين قــد علـق بــه في البدايــة، لكنــه كســر بعــد ذلـك الأصـفاد بعــون اللــه سـبحانه وتعــالى. واكتسـب في هــذه العمليــة خبـرة لا تقــدر بــثمن، وإحســاس أوســع مــن التحليــق، وكـــان الطـــلاق نهائيًـــا ولا يمكــن إصـــلاحه. بـــدافع التوبـــة، كــان يعمـــل في "الوضــع العكســـي" للتراجـــع عـــن مــا فعلـــه في الماضـــي على أمـــل اســـتخدام تلــك "الطاقـــة الســـلبيـة" كمحفــز. ومثلنــا جميعـًـا، فقــد فشــل في تحقيــق مــا كــان متوقعـًـا منــه، لكــن الوفــاء بالوعــد كــان دائمًـا بــذرًا عميقـًـا في قلبــه. لــم يكــن شــيء أغلــى بالنســبة لــه مــن الوفــاء بالوعــد كــان خالقه كان ﴿... أقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْل الْوَريدِ﴾ (ق: 16).

في رســـالـــة وداع صـــوتيــة مســـجـلــة مســـبــقًا، أراد صـــلاح أن يكـــون صـــاروخًا بشـــريًا يـقضـــي على الباطــل، وفي مثــل هــــذه المعـــارك تســـود الحقيــقــــة دائمًــا. ﴿بَــلْ نَقْـــــذِفُ بـــالْحَقِ عَـلَــى الْبَاطِلِ فَيَـدْمَغُهُ فَإِذَا هُو زَاهِقُ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 18).

ونصح المسلمين فقال "... الإسلام لا يحتاج إلى المعجبين ولكن إلى الرجال العاملين ... في وقت النبي (صلى الله عليه وسلم)، لم يكن هناك شيء من قبيل أن الشيوخ تقتصر واجباتهم الدينية في مجرد إسداء النصح أو أن العلماء تتلخص مسؤولياتهم فقي القام الفياء الفطاء في المساجد ... يجب أن يكون الشيوخ والعلماء قدوة للشباب من خلال التصدي للعدو في الجبهات والعمليات الاستشهادية ". وحذر من الانتظار حتى يتقدم المرء إلى سن الشيخوخة حيث يحتاج إلى مساعدة لعجزه. وكره الحياة في ظل هذه الظروف مفضلاً الطريق السريع إلى الجنة: العملية الاستشهادية. لقد قدم له الجهاد مغامرة ماتعة بعمق، وبسالة في الدين لا تفرق بين الحياة والموت، كان يتمنى أن يكتشف هذه البطولة الدينية قبل ذلك بكثير.

عــادة مــا يكــون لــدي شــعور مخــتلط بــالحزن والســعادة عنــدما أســمع استشــهاد المجاهــدين. أشــعر بــالحزن لأن رحيــل الأحبــاء الــذين ســتبقى ذكريــاتهم باقيــة يشــعل الشــوق الــذي لا يمكـن أن ينطفــئ في هــذا العــالم؛ أنــا سـعيد لأنهــم أوفــوا (إن شــاء اللــه) بعهـــودهم مــع اللـــه ســـبحانه وتعـــالى. على الــرغم مــن أنهـــم كــانوا مختلفــين في أشــكالهم الخارجيــة، إلا أنهــم خلــف هـــذه الاختلافــات الشــكلية، كــانوا يتمتعــون بحــب غير مشروط للــه ســبحانه وتعــالى والنبــي صــلى اللــه عليــه وســلم، لقــد كــانوا يشــتركون غير الشــغف الكبيــر بالجنــة. لقــد عرفــوا مصــيرهم. ســيكون لــديهم دائمـًـا الرغبــة في العــودة إلــى ســاحة المعركــة مـرة أخــرى على الــرغم مــن أن الجنــة الأبديــة التــي تنتظــر الشــهداء هـــي أفضــل بكثيــر مــن أي شـــيء يقدمــه هــذا العــالم. تقــبلهم اللــه شــهداء ويجعلهــم في صـحبة ﴿مـَع الّــذِينَ أنْعَــم اللّــه علَـــيْهِم مّــن النَّبيــيِّـين وَالصَّـدِيقِينَ وَالشُـهَدَاءِ وَالصَّـلِحِينَ أَ وَحَسُنَ أُولَـوًكُ رَفِيقًا ﴾ (النساء: 69).



انفجرت سيارات مفخخة يقودها نائب سابق وزميل له في 26 يوليو / تموز 2016 في مكتب الأمم المتحدة في مقدىشو، الصومال.

في 26 تموز / يوليـو 2016، وبحسـب بيـان صـحفي صـادر عـن حركـة الشـباب، "قـام اثنـان مـن المقـاتلين الشـجعان مـن كتيبــة الاستشـهاديين بعمليــة بطوليــة ضــد قاعــدة الأمــم المتحدة في حلني، وهي أكبر مقر للصليبيين في مقديشو وكل الصومال".

قام صلاح وزميــل لــه بتفجيــر عبــوات ناســفة بدائيــة الصــنع في أهــداف محــددة مســبقًا. وفقًــا لـــ إذاعـــة صـــوت أمريكــا، "كـــان عضـــوًا ســـابقًا في البرلمــان الصـــومالي انضـــم إلـــى منظمـــة الشـــباب الإرهابيـــة في عـــام 2010 وهـــو الرجـــل الـــذي يقـــف وراء تفجيـــر انتحـــاري أودى بحياة 13 شخصًا في مقديشو يوم الثلاثاء" وتسبب في دمار واسع النطاق.

وأخيراً قال صلاح قبـل العمليــة "... هــذه المهمــة التــي ســنقوم بهــا هــي في ســبيل اللــه وهي واجــب دينــي. لقــد اخترنــا إرضــاء اللــه وإلحــاق الضــرر بالكفــار أكثــر ممــا أضــروا بالأمــة المســلمة"، لقــد صــدقت كلماتــه عملــه وفــداءه، فقــد كتــب تاريخــًـا بـدمائــه لــيلهم الكثيــر من الناس ويثير الأحلام. ترجل الفارس ولكن إرثه لا يزال قائما.

مـن يسـتطيع أن يوقـف مجاهـدًا مسـلحًا بحـب اللـه والنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وينطلق مسرعا في القضاء على الأعداء؟

يصـف الغــرب هــذه العمليــة بأنهــا عمــل "إرهــابي" لتصــوير المجاهــدين على أنهــم مجــانين بــلا هــدف يفجــرون أنفســهم كــأنهم في رياضــة، متعمــدين إخفــاء الشــرعيـة الدينية وراء الهجوم.

المجاهدون يقــاتلون مــن أجــل الشــريعة الإســلامية، وفي غيــاب هــذا الدســتور الســماوي، أمر اللــه عبــاده بإزالــة جميــع العوائــق التــي تحــول دون تطبيــق الشــريعة في هــذه الآيــة: ﴿وَأَعِــدُّوا لَهُــم مَّــا اسْــتَطَعْتُم مِّــن قُــوَّةٍ وَمِــن رِّبــاطِ الْخَيْــل تُرْهِبُــونَ بـــهِ عـَــدُوَّ اللَّــهِ وَعـَــدُوَّكُمْ وَآخَرينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: 60)

أمــا غيـــر المســـلم، فهــــذا جنـــون مفهـــوم. الغـــرب قـــائم على منصــــة فكريــــة، ونحـــن مســـلمون على قناعـــات ومعـــايير لاهوتيـــة مختلفـــة. إلهامنـــا إلهــــي يعجـــز عنــــه هـــؤلاء، فالمرء يحتاج إلى "الإسلام" لفهم هذه الملحمة الروحية.

أبو مريم

